المحاضرة السابعة

ابو عبد الله محمد المهدي

158 - 169 هـ / 775 - 785 م

التعريف بالمهدي

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ابو عبد الله المهدي . ولد في الحميمة من ارض الشراة في عام (126 هـ / 744 م) وامه اروى بنت منصور الحميرية .

نشأ في بيت الخلافة وعني المنصور بتثقيفه فعهد به الى المفضل الضبي ، فمال الى الادب والعلم . ولما بلغ الخامسة عشر من عمره ، اهتم باعداده لمنصب الخلافة بتدريبه على الحرب والادارة ، فأرسله في عده مهمات عسكرية كما عينه في عدد من المناصب الادارية وعينه في عام (147 هـ / 764 م) وليا للعهد .

تزوج المهدي من ريطة بنت السفاح . اتصف بالكرم واللين والفطنة ، (لا يدخله غفلة عند مخوفة ولا يتكل على الامور على غير ثقة وصولا لأرحامه برا بأهله . لين الجانب شديدا على اهل الالحاد والزندقة وكان يجلس للمظالم).

بويع له بالخلافة بعد وفاة المنصور ، وكان في الثالثة والثلاثين من عمره .

الاوضاع الداخلية في عهد المهدي

اصلاحات المهدي

تعتبر خلافة المهدي التي استمرت زهاء عشرة اعوام فترة انتقال بين عهد الشدة والقمع الذي ساد عهد من سبقه من خلفاء بني العباس وعهد الاعتدال واللين الذي امتازت به ايامه . لذلك فقد انتهج سياسة لينة تداوي الجراح والنفوس وتجمع شمل الامة . وامتاز عهده بالهدوء الداخلي ، مما افسح المجال للقيام بتنفيذ مشروعات اصلاحية .

استهل المهدي خلافته باسترضاء الناس فرد الاموال التي صودرت في عهد ابيه الى اصحابها ثم امر باطلاق سراح المسجونين السياسيين لاسيما العلويين منهم واعاد لهم ارزاقهم وصلاتهم كما ساعد استيزاره ليعقوب بن داوود على زيادة التفاهم معهم .

وحاول استرضاء اهل الحجاز عندما حج عام (160 هـ / 777 م) وكان المنصور قد عاملهم بشدة بفعل مساندتهم لحركة محمد النفس الزكية فوزع عليهم اموالا طائلة ، وسمح باعادة الغلال والحبوب الواردة اليهم من الشام ومصر بعد ان كان المنصور قد قطعها عقب حركة محمد النفس الزكية وضم الى حرسه الخاص عددا من الجنود الحجازيين ووسع المسجد الحرام كما وسع مسجد الرسول في المدينة .

وعمل على اكتساب مودة اهل الشام فزار دمشق وبيت المقدس وحاول تسوية الخلافات القبلية المختلفة في بادية الشام ووزع عليهم الاموال واكرم وفادة اولاد مسلمة بن عبد الملك .

واقام المحطات على طريق مكة وزاد ما كان قد بناه السفاح وترك منازل المنصور التي بناها على حالها كما بنى الاحواض التي تملأ من الابار لسقاية القوافل ووضع عليها الحراس لحمايتها واجرى على المجذومين واهل السجون حتى يمتنعوا عن السؤال ويحولوا دون انتشار الامراض ، وبنى المدارس والمستشفيات واقام البريد بين المدينة ومكة واليمن ، واهتم بشؤون التجارة فأنشأ شبكة من الطرق التجارية جعلت بغداد مركزا تجاريا عالميا ، وغدت الموسيقى والشعر والحكمة والادب من مميزات هذا العصر . وسن الخليفة سنة كسوة الكعبة بكسوة جديدة كل عام وحصن المدن وخاصة مدينة الرصافة وعين الامناء في الولايات ليوافوه بأخبار الولاة .

وكان يجلس للمظالم يستمع الى شكاوي الناس فهو اول الخلفاء العباسيين الذين جلسوا للمظالم وحرص على اقامة العدل بينهم وكان يشرك القضاء معه عند النظر في المظالم .

والحقيقة ان المهدي بدا من خلال اصلاحاته وكأنه يبتغي التكفير عن المظالم والقوة التي صبغت عهدي السفاح والمنصور ضد الامويين والعلويين ، وكان يميل الى الحياة المترفة .

الحركات المعادية للعباسيين في عهد المهدي

_حركات الزنادقة

انتشرت في المجتمع الاسلامي منذ العهد الاموي ظاهرة الزندقة وازدادت نشاطا وحدة في العصر العباسي الاول . والواقع ان كلمة الزندقة اطلقت في الاصل على اتباع الديانات المجوسية كالزرادشتية والمانوية ، ثم تدرجت فشملت الملحدين والمشككين في الدين من اتباع ابن ديصان و

مرقيون و ماني ، ثم اتسع ذلك اللفظ ليشمل الشعوبية واصبح لهذا الاصطلاح بعد ذلك دلالات دينية – سياسية عامة ، حين استخدمته السلطة العباسية لضرب خصومها السياسيين او الدينيين واطلق اخيرا على بعض الخلعاء والمجان والظرفاء .

ادرك الخلفاء العباسيون مدى الخطر الذي يحدق بدينهم وبدولتهم نتيجة انتشار افكار ومبادئ الزندقة فهبوا للقضاء على هذه الدعوة المنحرفة واوصى المنصور ابنه المهدي بمحاربتهم .

وفعلا اهتم الخليفة المهدي بأمر الزنادقة فتتبعهم في سائر الآفاق من خلال حملات منظمة . فاستحضرهم وقتلهم صبرا . وأنشأ ديوانا خاصا بهم سماه (ديوان الزنادقة) عين عليه موظفا خاصا هو (صاحب الزنادقة) كما أمر المتكلمين بتصنيف الكتب للرد عليهم ضمن مخطط فكري لكشف اساليبهم الفكرية .

وتظهر شدة المهدي وحرصه وصرامته في تعقبهم واضحة في وصيته لابنه الهادي .

ومما لاشك فيه ان المهدي كان مدفوعا في ملاحقته للزنادقة بعاملين :

الاول : ديني ، بفعل ان مبادئهم القائمة على الثنوية تبطل التكاليف الشرعية وان تأويلهم لنصوص القرآن والحديث يخالف المعنى الطبيعي ، ومناف للأصول الاعتقادية مما يشكل خطرا جديا على العقيدة الاسلامية .

الثاني : سياسي ، بفعل تطور العلاقات بين العباسيين وبين العناصر الفارسية المتطرفة واتجاهها نحو التأزم .

_حركة المقنع : 159 - 161 هـ / 776 - 778 م

استمرت الموجة الالحادية ناشطة في عهد المهدي . فبعد الحركات التي قامت في وجه المنصور ، ظهرت في عهد المهدي حركات اخرى لا تختلف اهدافها عن سابقاتها من بينها حركة المقنع الخراساني الذي خرج في ناحية مرو وارتكزت حركته على الحلولية و التناسخ .

كان لحركة المقنع اهداف سياسية ودينية .

وانضوى المبيضة في بخارى وصغد تحت لوائه وساهم كل ساخط على النظام العباسي في حركته.

ومن الناحية الدينية ، تأثرت تعاليم المقنع بالمبادئ الخرمية .

تبع المقنع خلق كثير خاصة في بخارى والصغد وانتشر اتباعه في نواحي كش ونسف . واخذوا يغيرون على المناطق الامنة فتصدى لهم عدد من القادة العباسيين من بينهم سعيد الحرشي الذي تمكن من هزيمتهم والقضاء عليهم اما المقتع فقد احرق نفسه قبل القبض عليه .

_ حركات مختلفة

وشهد عهد المهدي عدة حركات اخرى مناهضة للحكم العباسي ، الا انها لم تترك اثرا ، وقمعها الخليفة دون عناء ، منها : حركة يوسف البرم في خراسان ، وحركة عبد الله بن مروان بن محمد الاموي في بلاد الشام ، وحركة الخوارج بقيادة عبد السلام بن هشام اليشكري .